مقلوباً حتى يكون اوّلاً الفضلة (limma) وبعدها بعدان طبيعيان). ولا يخفى ان محل وضع هذه الجنّبات متعلّق بمحل الوسطى ولذا يكون عدد جنبات السبابة موازياً لعدد دساتين الوسطى. وعليه فيوجد منها جنّبات منها جنب السبابة الآنف الذكر وجنب الفرس وجنب زرزل الى غير ذلك

نبذة في اهمّيّة التجارة ومسهّلاتها

للشاب الاديب عبد الله رزق الله شارّ احد مأموري معمّيّة ولاية بيروت الجليلة

اهمّيّة التجارة وتأثيرها في السياسة

لمن المعلوم ان الثروة في كل اين وآن اساسُ السمة الشخصيّة والعموميّة وقوام الدول ودعامتها. تزداد يوماً فيوماً اهمّيّتها بتزايد الاحتياجات البشريّة مع ترقّي المدنيّة. بها تمرح الافراد في رياض السعادة وبحابيح الرخاء والرفاهيّة. وبواسطتها تحسن الحكومات ادارتها الداخليّة. وتظهر سطوتها الخارجيّة. وتصلح احوال رعاياها الماديّة والاديبّة. وتدفع عند الحاجة عنها التجاوزات الاجنبيّة

نعم انّ الزراعة والصنائع المختلفة لقاح الثروة المطلوبة وداعيةٌ الى الفلاح والعمران لكنّ للتجارة ايضاً مقاماً عالياً فانّها مجلبة لليسار والغنى تجدي الربح على مزاوليها وتمكّن الدول من النهوض بأعباء مقتضيات الزمان كما يشهد لنا بذلك تاريخا فينيقية وبريطانية العظمى

فيتّضح من ثمّ ان التجارة بمكانٍ عظيم من الخطارة والاهمّيّة عند الافراد والدول لا بل انها من اهمّ المسائل الحيويّة التي اشغلت وتُشغل افكار السياسيين وأولي الامر. وعليه ترى الدول تبذل الغالي والرخيص لتنشيط التجارة وتشويق الاهالي على مزاولتها فما وجدت باباً الّا ولجتهُ ولا طريقاً الّا سلكتهُ حتى ازالت العقبات والعراقيل في سبيلها وصرفت الصوارف وعفّت آثارها. وفي تسابق الحكومات هذا الى اسواق التجارة الدانية والقاصية ومحاربتها الاقتصاديّة (guerre économique, guerre des tarifs) دليل ناطق وشاهد صادق على اهمّيّة هذه المهنة وعظم شأنها. اليك منها مثالاً يُبدي الرغوة عن الصريح:

كلٌ يعلم أن ألمانية وسّعت في هذه السنين الاخيرة نطاق تجارتها توسيعاً عظيماً فزاحمت انكلترة بمصنوعاتها وبضائعها الرخيصة مزاحمة المناكب بالمناكب. فلم تكُ مالكةُ البحار وسيّدة التجارة لترضى بالمانية رقيبةً جديدة تُخيفها. فقامت وقعدت. وارغدت وازبدت. وهدّد رجالُها الالمانَ في المنابر. وانبرت جرائدها تصبّ على رقيباتها

سواد الحاير. فأظلم أفق السياسة مُدَّة من الزمن. حتى خيف من تمزق غياهب الأحقاد المتلبدة وهطول امطار المصائب والمحن. ولا تزال هذه المزاحمة بين الأُمتين على قدم وساق. ولا نعلم ما ينجم عن هذه الصادمات من بروق الخاوف ورعود الاخطار

هذا وانَّ للتجارة تأثيرًا في السياسة ولذلك ترى الدول قد خطَّت عليها مؤخرًا سياستها الاستعمارية. فسنَّت لها نظامات خصوصيَّة. وبذلت في سبيلها خزائن المال ومُهَج الرجال. وذلك أنهُ لما ضاق بها المجال في العالم المتمدن اخذت تتجارى ولا تجاري المذكيات وراء مخارج جديدة لسلعها في مضمار المسابقة الى الاقطار الشاسعة والمحالّ المهجورة. فأرسلت البعثات المختلفة الى صحاري افريقية وفيافي آسية ومفاوز اوسترالية حيث تراكض رحالتها في حلبة هذه المطامع فقدوا مع رؤساء القبائل القاطنة هنالك معاهدات تقضي لهم بتملُّك تلكَ الاراضي لقاء بعض السلع المزخرفة. والحقُّ في هذا الاستملاك لمن سبقَ فأخذ امضاء شيخ القبيلة او علامةً منهُ. فترى هؤلاء الرجال مُجدّين مُسرعين مواصلين السير بالسُرى. لا يحول دون عزمهم الماضي حائل. ولا يثني همتهم القساء مانع. يخوضون غمرات الموت ومعارك المهالك بقلب اشدّ من الصخر ويتحمّلون مشاقّ التعب والجوع والعطش بصبرٍ دونهُ الصبر. وكثيرًا ما التقت بعثةٌ باخرى فتصادمتا. فأومض من هذا التصادم برقٌ ارتعدت لشررهِ فرائص العالم. فصدى حادثتَي النيجر وفشودة لم يزل يدوي في آذاننا كالرعد القاصف. على ان خيل رهان مطامع الغرب تتبارى الآن في ميادين افريقية والشرق الاقصى. والليالي حبالى تلد ما لم يدُر في خلَدٍ ولم يجرِ في ظنّ

وكأني بالدول بعد احياء الموات من الارض وإعمارها تسعى ايضًا وراء مخارج جديدة لتجارتها فتؤمّ القطبين بنانين واندرُه. والله اعلم اين تحطّ بها عصا الترحال من بعد. فليس للطمع والاحتياج من حدّ

٢ مسهّلات التجارة

ذكرنا في مقالتنا عن تاريخ التجارة (المشرق ٢ : ١٦١) احوال هذه المهنة وترقيها في الاعصار المتقدمة وخمود حركتها في القرون المتوسطة لتفشي الحروب واضطراب السياسة في الممالك. لكنَّ الحكومات والحمد لله ما لبثت ان نزعت الافكار السقيمة من عقول رعاياها وتركت تقاليد سياستها القديمة ووجهت انظارها الى توفير الوسائط التي من

شأنها ان تسهل حركة دولاب التجارة الداخلية والخارجية . فراجت والحق يقال في هذه الازمنة اسواقها رواجاً لم تَرَهُ الاعصر السالفة بل لم يخطر في بال الاولين وخيال الاقدمين . وهاك غيضاً من فيض هذه المسهلات

١ً (الطرق البرية) قلنا ان التجارة عبارة عن نقل السلع والمحصولات من محل الى آخر . وعليه كانت الطرق البرية في مقتبل الامر من اهم مسهلات التجارة واشد اركانها . فصرفت الحكومات قاطبةً عنايتها الى تمهيد وعر المسالك وتأمين سابلتها . ففتحت الطرق العديدة في انحاء البلاد وقطعت دابر المتلصصين واجتثت اصل الاشقياء . فأقبل التجار عليها زرافات بعد ان كان الواحد منهم قبل الخروج الى السفر وان دانياً يكتب وصيته ويودع ولدَهُ واهلهُ

وما طرق الآذان صفيرُ القطار وعجيج الدواليب الحديدية حتى زادت الحركة التجاوية وتشعبت عروقها في جسم الامصار فكانت لها حياة جديدة . والدول جمعاء تتطاول في انشاء هذه الخطوط ترويجاً لتجارتها ومصالحها الادارية والسياسية . يخالها الناظر في اوربة والولايات المتحدة شبكةً شاملةً القاها على وجه الارض صيادو السلع والمحصولات

٢ً (الطرق البحرية) ما وطئ الانسان البرّ الجديد والبرتغاليون ارض الهند الا وتهافت الغربيون تهافت الجياع على القصاع الى بلاد الذهب ووطن العاج فتكاثرت السفائن والجواري واشتدت نهضة التجارة وارتفع شأنها

فلما ذلّل البخارُ تيار البحار انقاد للتجارة حينئذٍ ما تصعّب وأمكن ما امتنع . فانتعشت وارتاشت وتوسعت فأحاطت العالم اجمع . فانشأت الشركاتُ البواخر الجسيمة والحكومات بحريتها التجارية . وأفرغ الجميع في تحسينها وتسريع سيرها كنانة الجهود فجاءت في ترويج التجارة ما يوافق الظنّ والامل . فانقلب الاوقيانوس الاتلنتيكي الى بحيرة تقطعها البواخرُ بسرعة البرق . فكأن السفائن التجارية مع السكك الحديدية يوصلها قطعات الارض ببعضها وتقريبها البعيد زادت في نفس عمر الانسان فضلاً عما اتتهُ من الفوائد العميمة

٣ً (الجداول والترع) ليست هذه باقلّ اهميةً ونفعاً للتجارة من الوسائل السابق ذكرها ولذا انفقت الدول في تعميق مجاري الانهار وحفر الجداول والترع القناطير

المقنطرة كما أنبأتنا الجرائد بتصميم الروسيَّة مثلًا على وصل بحر البلتيك بالبحر الاسود. وكفانا دليلًا ما وصلت اليه ترعة السويس من الاهميَّة والخطارة وما اجدت التجارة من الخدمات والفوائد العظيمة. فقد مخرتها في السنة الاولى (سنة ١٨٧٠) لافتتاحها ٤٨٦ سفينة وهذا العدد يُربي اليوم على ٣٠٠٠ سفينة محمولها ٨ ملايين طنّ فضلًا عن ازدياد عدد السفائن المارَّة بها يومًا فيومًا

٤ً (البريد والبرق) ضاهت هذه المسهلات الطرق البرّيَّة والبحريَّة نفعًا وفائدةً فتبايع تجّار الخافقين ما يلزمهم في مدَّةٍ وجيزة بل لحظة واحدة. وعليه لا يكاد يمضي يومٌ الّا وتزيد الدول في بلادها عدد الاسلاك البرقيَّة ومراكز البُرُد وتسعى بتخفيف أُجرها وتسهيل معاملاتها. فعقدت في ١ حزيران سنة ١٨٧٨ مؤتمرًا في مدينة باريس اسفر عن اتحاد اكثرها في شأن البُرُد وعن توحيد رسوم هذه المخابرات في ممالكها كأنها تجري ضمن حدود دولةٍ واحدة. وكانت في ١٧ ايار سنة ١٨٦٥ عقدت مؤتمرًا في المدينة نفسها تعاهدت فيه بعض الحكومات على تخفيف اجرة التلغرافات المارَّة في امصارها. وفي ٨ نيسان سنة ١٨٦٧ و ٢٢ تموز سنة ١٨٧٥ حُوّرت بعض احكام هذه العهدة المنعقدة بين الحكومات المتَّحدة

٥ً (رقباء التجارة والقناصل) لمَّا كانت التجارة من اهمّ المسائل الحيويَّة كما بيَّنّا سابقًا اعتادت الدول ان تنصب في معيَّة سفرائها مأمورين مخصوصين (attaché commercial) لمراقبة تجارة المملكة التي يُرسلون اليها والتنقيب عن احوالها وتقدير كميَّة وارداتها وصادراتها وانواع سلعها ومقدارها واستقصاء اسباب ترقيها وتقهقرها واتخاذ الوسائل اللازمة لترويج مصنوعات مملكتها ومحصولاتها في تلك البلاد. فيتردَّد هؤلاء الى الأندية التجاريَّة والمصانع المختلفة ويبرون بمقياس البحث وعين الفطنة غور هذه التجارة ويبعثون في هذا الشأن بالتقارير الى حكوماتهم

وللقناصل ايضًا وظيفة مثل هذه ينسجون فيها على منوال اولئك المأمورين في البلاد التي يُنصبون فيها. وعليه ليس لهم كما يظنّ البعض صفة سياسية البتَّة ولا حقّ لهم ان يستفيدوا من الامتيازات المعطاة للسفراء ولسائر المأمورين السياسيين. غير ان حضرات سلاطين آل عثمان العظام تكرَّموا فمنحوا للاجانب بعض امتيازات لهم لم تزل جاريةً حتى يومنا هذا تحت اسم العهود القديمة (Capitulations)

٦ً (دواوين التجارة) شكّلت الدول الدواوين التجاريّة (chambres de commerce) في اكثر بلدانها من تجّار نفس تلك المدن للبحث في شؤون التجارة الخلّيّة واجراء الوسائط المؤثرة لترقيها وتوسيعها. فوضعت لها نظامات خصوصيّة تؤمّن نجاح مسعاها. ولهذه الدواوين جرائد مهمّة تنشر في اوقات معيّنة كلّ ما يحتاج اليه التجّار من اخبار واعلانات ومعلومات تجاريّة وصناعيّة وتبين للاهالي التدابير اللازم اتخاذها ترويجًا لتجارتهم. وكثيرًا ما تُرسل اللجان التجاريّة الى الاقطار الشاسعة للوقوف على تجارة تلك البلاد وللتحرّي على مخارج جديدة لتجارتهم

٧ً (محافل التجّار) قلّما تخلو مدينة في اوربّة واميركة من جمعيّة تجاريّة وصناعيّة وزراعيّة.. الخ تتألف من ارباب هذه الحِرَف المختلفة. فيتداول هؤلاء فيها شؤون صناعاتهم واسباب ترقيها. ويحضرها احيانًا بعض رجال السياسة فيبينون لسامعيهم ما يتهدّد التجارة الوطنيّة وصنائع البلاد من الاخطار بسبب المزاحمة الاجنبيّة ويحرّضونهم على الثبات والمقاومة. وخُطب المستر تشامبرلن في محافل تجار انكلترة اشهر من ان تذكر

٨ً (مدارس التجارة) كما ان لمعاهد الفنون شأنًا خطيرًا في نشر العلوم والمعارف هكذا لمدارس التجارة يدٌ بيضاء في توسيع دائرة هذه المهنة وتسهيل حركتها. فيرى الطالب فيها دروب التجارة واساليبها ومخارجها ومسهلاتها. وعليه كثرت هذه المدارس في اوربّة وتقاطرت اليها الطلاّب من كلّ جانب. وقد فتحت الحكومة السنيّة في دار السعادة منذ عهدٍ قريب مكتبًا للتجارة فحبّذا لو أُتحفت بمثلهِ وطننا العزيز مهدَ هذه الحرفة وسوقها القديم

٧ً (المعارض) لا ريب ان انشاء المعارض في العواصم والمدن الكبيرة لمن اقوى الوسائل التي اتخذتها الحكومات لترويج التجارة وتوسيعها. وهي اشبه باسواق العالم القديم. لكنها اوسع ميدانًا واوفر موردًا واعظم شأنًا من تلك. واخبار معرضي باريس وشيكاغو لم تزل راسخةً في الاذهان. والعالم اجمع الآن يرمي بطرفهِ الى باريس تلك المدينة العامرة الزاهرة ويطمح ببصره نحو معرض العصر الجديد الذي سيفوق جميع معارض الدنيا بهجةً وعظمةً وفائدةً. ويقال انهُ قد اشترك في هذا المعرض الى الآن ٥٤ دولة وكلّ الممالك تتجارى في إقامة هذه الاسواق العظيمة حيث تجتمع

الملايين من الناس وتُشهر انواع المحصولات والمصنوعات وتتبادل الاموال وتتصادم القرائح والافكار

ومن فوائدها انَّ صنّاع فرنسة مثلاً يطّلعون حينئذٍ على بضائعنا وملابسنا. فيعرفون مشربنا واحتياجاتنا ويصنعون السلع المألوفة عندنا ويرسلونها لنا لقاء بعض محصولات بلادنا

كفانا دليلاً على اهميَّة المعارض عند الدول ما روتهُ اخيرًا الصحف السيَّارة على اختلاف نزعاتها من الحوادث الخطيرة بشأن السياسة الفرنسويَّة. فقد ذهب فريق من الساسة الى ان الحكومة المشار اليها ضحّت بعض منافعها الاستعماريَّة على هيكل هذا المعرض رجاء ما سوف يأتيها من الفوائد التجاريَّة والعوائد الماليَّة ومما رُوي ان مدينة باريس ربحت من معرضها الاخير فوق الاربعة ملايين فرنك

وقد احتفل مؤخرًا القطر المصري بافتتاح معرضهِ الزراعي الوطني فالقى هذا الامر في أفئدتنا اطيب الآمال وازهرها فيا حبّذا لو يقتصّ السوريون اثر جيرانهم فينشئون المعارض الوطنيَّة في البلاد الشاميَّة ويحيون بذلك آثار تجارتهم الطامسة ويبعثون رميم مفاخرهم البالية

١٠ً (قوانين التجارة ومحاكمها) لمَّا كانت التجارة من المعاملات التي تقتضي الأمنيَّة والاعتبار المالي والسرعة التامَّة في المبادلات وضعت الحكومات لها احكاماً خصوصيَّة حوَّرتها واصلحتها زمناً بعد زمن وفقاً لترقيات العصر الماديَّة والادبيَّة وقد اودعتها كلَّ ما يعود على التجارة ومزاوليها بالرواج والفائدة وشكَّلت ايضاً محاكم خصوصيَّة لرؤية الدعاوي التجاريَّة وتنفيذ احكامها

١١ً (المؤتمرات التجاريَّة) يسعى بعض حكماء الغرب في توحيد قوانين الحكومات ونظاماتها ومسكوكاتها وما شاكل ذلك تسهيلاً لمعاملاتهم وتأليفاً لشتات نيَّاتهم فيعقدون المؤتمرات العلميَّة والسياسيَّة في امر خطير يريدون تثقيف اوده ولمّ شعثه. فها المؤتمرات التجاريَّة تتألَّف من اشهر الاقتصاديين للبحث في شؤون التجارة وتسهيل حركتها وتهوين المعاهدات التجاريَّة المنعقدة بين الدول وتوحيد قوانين التجارة في الممالك المختلفة. وفَّق الله مساعيهم (ستأتي البقية)